

تنتو مسكج و الثورة اللغوية*

جون سيرل

من هو تشومسكي؟

ولد افرام نوم تشومسكي (Avram Noam Chomsky) عام ١٩٢٨ في الولايات المتحدة الاميركية - ولاية فيلادلفيا. ويعمل الآن بصفة استاذ لعلم اللغة. في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا. وتنتمي المدرسة اللغوية (النحو التوليدي والتحويلي) التي ترتبط باسمه إلى الخط الذي رسمه بلومفيلد (Bloomfield) واستمر به زيليك هاريس^(١) (Zellig Harris) الذي لعب دوراً أساسياً في توجه تشومسكي.

يعود نجاح تشومسكي إلى الأهمية الخاصة التي تنطوي عليها نظرياته العلمية. كما يعود ايضا إلى روحه السجالية المتوهجة التي تجلّت في مؤلفاته العلمية والسياسية على السواء. وتجلّت هذه الروح على الصعيد العلمي في نقده للمذهب السلوكي في علم اللغة وعلم نفس اللغة بتناوله لمؤلف سكينر (B. F. Skinner) السلوك اللغوي عام ١٩٥٩^(٢)، كما تجلّت هذه الروح ايضا على الصعيد السياسي في نقده للسياسة الاميركية الخارجية وبخاصة في ما يتعلق بتدخل الولايات المتحدة في فيتنام، وكان أحد أعنف انتقاداته في هذا الصدد قد ظهر في مؤلفه «أميركا ومتنفذوها الجدد»^(٣)

تعرض هذه المقالة التي كتبها جون سيرل (John R. Searle) استاذ علم اللغة في جامعة بيركلي (الولايات المتحدة)، محورين اساسيين في نظرية تشومسكي اللغوية: نقد البنيانية في علم اللغة والافكار الجديدة التي استحدثتها تشومسكي في علم التركيب، وهما محوران اللذان آثرا بشكل ظاهر في الدراسات اللغوية المعاصرة. وتعرض هذه المقالة ايضا لبعض المسائل التي ما تزال بلا حل في اطار النظرية التوليدية ومنها: ما المقصود بمعنى الكلمة أو معنى الجملة؟ وكيف يمكن الربط بين دراسات علم اللغة «الصوري» ونظرية واقعية للاتصال اللغوي؟

* *

كُتبت هذه المقالة عام ١٩٧٣ لذا فقد ألحقنا بها تذييلا للإشارة إلى التطور الذي طرأ بعد هذا التاريخ على القسم الدلالي خاصة في نظرية تشومسكي اللغوية^(٤) كما ألحقنا بها أيضا لائحة بأهم مؤلفات تشومسكي

وترجماتها باللغة الفرنسية.

ونشر أخيراً إلى ان الامثلة الايضاحية الواردة في النص الأصلي قد تم استبدالها بأمثلة مقابلة من اللغة العربية تقوم مقامها قدر الامكان.

منذ كانت دراسة الانسان، ثمة اتجاهان متعارضان متعارضاً أساسياً: فالبعض يعتبر أن تقدّم المعارف يرتبط بالملاحظة الدقيقة للسلوك الفعلي الذي يقوم به الانسان. فيما يذهب البعض الآخر إلى أن مثل هذه الملاحظات لا تكتسب أهميتها إلا بالقدر الذي تكشف لنا فيه عن القوانين الكامنة، الخفية وربما المكتنفة بالألغاز والتي لا تتكشف لنا، في السلوك الفعلي، إلا بصورة جزئية ومحرّفة. ويُعدّ نوم تشومسكي من بين هؤلاء الذين يبحثون عن القوانين الخفية. فالسلوك الفعلي الذي يتمثل في فعل الكلام والمسمّى بـ «أداء»⁽⁵⁾ الكلام، لا يشكل بالنسبة له إلا قمة جبل كبير من «الكفاية» اللغوية وقد تحرّف شكل هذه القمة بفعل العديد من العوامل التي لا تتصل بشيء وعلم اللغة.

في اطار هذا التعارض بين المنهجية التي تحصر البحث بالوقائع الملاحظة والمنهجية التي تستخدم الوقائع الملاحظة بوصفها مؤشرات للقوانين الكامنة والخفية. تمثل ثورة تشومسكي ثورة مزدوجة الأهمية. فقد أثارت، أولاً، ضمن نطاق علم اللغة، نزاعاً هو. في حقيقته. مظهر خاص لنزاع أوسع بين النزعة العقلانية والنزعة التجريبية، ثم ان تشومسكي قد استخدم. ثانياً، النتائج التي توصل اليها في نطاق دراسة اللغة في محاولة منه لتطوير بعض الاستنتاجات العامة المضادة للسلوكية وللنزعة التجريبية حول طبيعة الذهن الانساني، وهي استنتاجات تجاوزت بمراحل حقل علم اللغة.

والى أمد غير بعيد كان علم اللغة علماً تصنيفياً وسلوكياً

فقبل نشر كتاب تشومسكي البنى التركيبية في عام ١٩٥٧. كان العديد من علماء اللغة الأميركيين (وربما معظمهم) يعتبرون أن هدف علمهم هو تصنيف عناصر اللغات الانسانية. وقد كتب هوكيت (Hockett) عام ١٩٤٢ أن «علم اللغة هو علم تصنيفي»^(٦). ولنفترض. على سبيل المثال، أن لغوياً أراد أن يقدم وصفاً للغة معينة. ولنقرر أنها اللغة العربية (في الأصل: اللغة الفرنسية). انه يأخذ في البداية بجمع «معطياته» أي يجمع كمية كبيرة من جمل هذه اللغة. ويقوم بتسجيلها على مسجل للصوت أو تدوينها بواسطة رموز صوتية فونتيكية. ومن ثم يبدأ العمل على هذا «المتن» للغة. فيصنّف عناصر المتن إلى مختلف مستوياتها اللغوية: المستوى الاول تمثله الوحدات الصوتية الصغرى ذات الدلالة الوظيفية، أي الفونيمات أو اللافظات، ومن ثم تجتمع الفونيمات. على المستوى التالي. لتشكّل العناصر الدالة الصغرى المحمّلة بالمعنى، أي المورفيمات أو الفاردات (بالعربية. مثلاً. تشكل كلمة «برق»

مورفيماً واحداً مكوناً من ثلاثة فونيمات) بعد ذلك تجتمع المورفيمات . على المستوى الأعلى . لتشكّل الكلمات ووصفها الكلمات كالمركبات الاسمية والمركبات الفعلية وتأتي أخيراً . على المستوى الأرفع . تتابعات صفوف الكلمات ، أي الجمل ، وأنواع الجمل الممكنة .

كان هدف النظرية اللغوية إذاً هو ان توفر لعالم اللغة مجموعة من الطرائق الدقيقة . أي مجموعة من وسائل الاكتشاف التي بمقدوره أن يستخدمها لكي يستخرج من «المتن» الفونيمات والمورفيمات . الخ... ولم يكن هناك مجالاً واسع ، في هذا الاطار . لدراسة معنى الجمل أو دراسة عملية استخدام الناطقين بلغة معينة لجملة معينة . فقد نشأ الاعتقاد ان الدلالات . المحللة تحليلاً علمياً . هي أنماط من السلوك محدّدة بالعلاقة بين المثير والاستجابة . لذا كانت الدلالات . بالمعنى العصري . موضوعاً لدراسة علماء النفس . فقد قيل انها وحدات عقلية أشبه بالألغاز وخارجة تماماً عن نطاق علم معقول . والأردأ من ذلك قولهم ان الدلالات قد تقتضي معرفة كاملة من جانب المتكلم بالعالم الذي يحيط به . ولذا استبعدت من حقل الدراسة التي حدّر نفسها فقط بالوقائع اللغوية .

لقد شدّد علم اللغة البنائي على الطرائق الموضوعية للثبوت من الوقائع وعلى وسائل الاكتشاف المتعينة بدقة . كما رفض كل نقاش يتعلق بالمعنى أو الوحدات العقلية أو الخصائص غير الملاحظة . وبذلك ارتبط بتيار «العلوم السلوكية» والتزم . في قسم كبير منه . المفترضات الفلسفية للوضعية المنطقية . وتبرز أهمية عمل تشومسكي خاصة في ان نقده الموجه ضد النظرة إلى الانسان المتضمنة في العلوم السلوكية قد تم بالضبط انطلاقاً من تراث الدقة العلمية التي شكّلت مثالا للعلوم السلوكية . فقد اعتبر تشومسكي أن التحليل الدقيق فعلياً للغة يقتضي ان يوضح بأن اخضاع اللغة للوصف الذي يتوسل علاقة «المثير الاستجابة» لن يؤدي لآلى ترهات أو أخطاء ، فمثل هذا الوصف يحاكي فقط «الملامح السطحية للعلم» من غير أن يملك «محتواه الفكري ذا المغزى»

البنائية ومشكلات التركيب : الفصل

حين كان تشومسكي يقوم بتحضير أطروحته للدكتوراه في جامعة بنسلفانيا حاول ان يطبّق الطرائق التقليدية لعلم اللغة البنائي على دراسة التركيب . وقد تحقّق له ان هذه الطرائق التي تمتعت ظاهرياً بفعالية كبيرة في دراسة الفونيمات والمورفيمات لا تتوافق جيداً مع دراسة الجمل . تتضمن كل لغة عدداً محدوداً من الفونيمات كما تتضمن أيضاً عدداً محدوداً . رغم أنه مرتفع جداً . من المورفيمات ؛ ومن الممكن وضع لائحة فيها . بمقابل ذلك فان عدد الجمل في لغة طبيعية معينة كالفرنسية أو الانكليزية أو العربية هو . بالمعنى الدقيق للكلمة . عددٌ لا متناهٍ . فإ من حدّد لعدد الجمل الجديدة التي يمكن انشاؤها . ومن

الصعب . في حال لزمنا المفترضات البنائية . ان نؤدّي حساباً عن هذا الواقع . ونعني به أن اللغات تتضمن عدداً لا متناهياً من الجمل .

ولا يبدو . إضافة إلى ذلك . أن الطرائق البنائية في التصنيف قادرة على أن تؤدي حساباً عن كل العلاقات الداخلية القائمة في الجمل أو عن العلاقات التي يمكن ان تقوم بين مختلف الجمل . فقد تشترك جملتان . على سبيل المثال . في بنية نحوية واحدة . كما في قولنا :

١- دُفِعَ المَالُ من زيد

٢- سُرِقَ المَالُ من زيد

إذ تشكل كل جملة من هاتين الجملتين تابعاً لـ : فعل مبني للمجهول-- نائب فاعل--حرف جر--اسم علم مجرور. وبالرغم من هذا الاشتراك السطحي فان هاتين الجملتين هما جملتان متغايرتان جدا من الوجهة النحوية . ففي الجملة الأولى يؤدي «زيد» وظيفته كفاعل لفعل «دفع» . رغم ان ذلك لا يظهر في الترتيب السطحي للكلمات . اذ تعني الجملة : دفع زيدُ المالَ . اما في الجملة الثانية فان «زيداً» يؤدي وظيفته كمفعول به لفعل «سرق» . اذ تعني الجملة : سرق أحدهم زيداَ ماله . ولا يوجد . ضمن المفترضات البنائية . أية وسيلة عادية أو سهلة لتأدية الحساب عن هذه الوقائع .

تشكل بعض أنواع الجمل الملتبسة بمجموعة أخرى من الوقائع التركيبية التي تعجز المفترضات البنائية عن معالجتها . والالتباس المقصود ليس هو الالتباس الذي قد يصدر عن كلمات الجملة . اما ذلك الذي يصدر عن بنيتها التركيبية . لتناول الجملة الآتية : «نقد تشومسكي نقدٌ مبرر» لا تحتوي هذه الجملة على كلمات ملتبسة كما ان بنيتها النحوية السطحية جد بسيطة (اسم-اسم علم-اسم-صفة) . ومع ذلك فهي جملة ملتبسة . في الواقع . التباساً ملحوظاً . اذ يمكن أن تعني من بين عدة أمور : «نقد أحدهم لتشومسكي نقد مبرر» . أو «نقد تشومسكي لأحدهم نقد مبرر» . أو «مجرد نقد تشومسكي نقد مبرر» . تشكل مثل هذه الجمل «الملتبسة من الوجهة التركيبية» «رائزاً» اساسياً للنظرية التركيبية . فهذه الأمثلة هي جزء من العربية العادية والمتداولة . ولا وجه غرابة فيها . بيد أنه من الصعب أن نرى كيف يمكن تأدية الحساب عنها . يتعين المعنى في كل جملة بمعنى الكلمات (أو المورفيمات) التي تكوّنها وبالانتظام التركيبي لهذه الكلمات . فكيف يمكن اذاً تأدية الحساب عن الحالات التي تتضمن فيها الجملة كلمات (أو مورفيمات) غير ملتبسة وتكون لها . في الوقت نفسه . معانٍ متغايرة؟ لقد انتهى تشومسكي إلى التأكيد ان لهذه الجمل عدة بنى تركيبية متغايرة وان البنية السطحية الواحدة للجملة «نقد تشومسكي نقد مبرر» . مثلاً ، تضم عدة بنى كامنة متغايرة ، يدعوها بالبنى «العميقة» أو المقدرة . وقد شكّل استحداث مفهوم

البنية العميقة أو المقدرة للجمل . التي لا تظهر على الدوام في البنية السطحية . عنصراً أساسياً في ثورة تشومسكي اللغوية .

توجّه جديد لعلم اللغة : النحو التوليدي .

أدى قصور الطرائق البنائية عن تأدية الحساب في هذا النوع من الوقائع التركيبية إلى رفض تشومسكي لهذه الطرائق . كما أدى به ذلك أيضاً إلى رفض أهداف البنائية . والتعريف الذي يقترحه اللغويون البنائيون لموضوع علم اللغة . فعوضاً عن التوجّه التصنيفي الذي يقوم على تصنيف العناصر بواسطة إجراء مجموعة من العمليات على متن من العبارات . أكد تشومسكي أن هدف الوصف اللغوي يجب أن يتجه إلى بناء النظرية التي تؤدي حساباً عن العدد اللامتناهي من الجمل في لغة طبيعية . فمثل هذه النظرية يمكن أن تشرح ما هي متابعات الكلمات التي تشكل جملاً وما هي تلك المتابعات التي لا تشكل جملاً . كما توفر وصفاً للبنية النحوية لكل جملة . لقد أطلق على هذه النظرية في ما بعد اسم «النحو التوليدي» . لأنها اتجهت إلى بناء الأولية التي تولّد كل (ولا شيء غير) الجمل في لغة معينة .

إن تعيين هدف علم اللغة على هذه الصورة قد أظهر التصوّر القائم لطريقة هذا العلم ولموضوعه بوصفه تصوّراً مشوهاً . يقول تشومسكي إن كل لغة تتضمن عدداً لا متناهياً من الجمل . لذا فإن كل «متن» . حتى إن هو احتوى هذا القدر من الجمل الذي نحتويه مجموعة المؤلفات الموجودة في المكتبة الوطنية . هو متن صغير غاية الصغر . فبدل أن يدرس علم اللغة تلك المجموعة من الجمل المنتقاة انتقاءً اعتباطياً أو بالصدفة . فإن تشومسكي يحدد له الموضوع الحقيقي لدراسته متمثلاً بالمعرفة الضمنية التي يمتلكها المتكلم عن لغته . أي هذه «الكفاية اللغوية» التي تتيح للمتكلم انشاء وفهم الجمل التي لم يكن سمعها من قبل إطلاقاً .

ما إن تم رفض فكرة «المتن» حتى خضعت الفكرة القائلة بوجود وسائل آلية معدّة لاكتشاف الحقائق اللغوية للنقد هي أيضاً . ويؤكد تشومسكي إن أي علم لا يملك وسيلة آلية لاكتشاف الحقيقة . فالعلماء يصيغون . في الواقع . فرضيات ثم يروونها (يختبرونها) فيما بعد على الوقائع . ويحدث الشيء نفسه في علم اللغة : إذ يقوم عالم اللغة بتخمينات حول الوقائع اللغوية ثم يروها على الوقائع التي تصدر عن الناطقين بلغة معينة . فهو يملك . باختصار . وسيلة معدّة لتقويم الفرضيات المتضاربة . ولا يمتلك أية وسيلة لاكتشاف النظريات الحقيقية من خلال تناوله للوقائع تناولاً آلياً .

ويمكن تلخيص ثورة تشومسكي اللغوية باللوح الآتية :

الموضوع	البيانية	النحو التوليدي
معرفة المتكلم بطريقة اصدار وفهم الجمل ، أي كحايتة اللغوية .	متن العبارات	
الهدف	تصنيف عناصر المتن	تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء بناء الجمل .
الطرائق	وسائل الاكتشاف	وسائل التقويم (روز النظرية) .

الاشتقاقات والأدلة النظامية :

تمثل هدف النظرية اللغوية التي عرضها تشومسكي في البنى التركيبية (١٩٥٧) بصورة أساسية في شرح التركيب . أي في تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء بناء الجمل . أما في النظرية التي أدركت النضوج في كتاب تشومسكي وجوه النظرية التركيبية (١٩٦٥) فقد غدت الاهداف أكبر طموحاً : تفسير كل العلاقات اللغوية القائمة في اللغة بين نظام الأصوات ونظام الدلالات . وبلوغ هذه الغاية كان على «النحو» الكامل للغة معينة ، بالمعنى الفني الذي يعطيه تشومسكي لهذه الكلمة ، ان يتضمن ثلاثة أقسام : القسم التركيبي الذي يولد ويشرح البنية الداخلية لعدد الجمل اللامتناهي في لغة معينة ، القسم الفونولوجي الذي يشرح البنية الصوتية للجمل التي ولدها المكوّن التركيبي ، والقسم الدلالي الذي يشرح بنية معناها . ويحتل التركيب موضع القلب من هذا النحو ، في حين تشكل الفونولوجيا ودراسة الدلالة مجرد قسمين «تأويليين» . بمعنى انها يصفان صوت ومعنى الجمل التي أنشأها التركيب ، بيد أنها لا يولّدان الجمل بحد ذاتها .

تمثل المهمة الأولى للتركيب ، عند تشومسكي ، في تأدية الحساب عن البنية الداخلية للجمل . فالكلمات والمورفيمات تتجمع في مؤلفات وظيفية كموضوع الجملة والحمول والمفعول ، الخ... وقد تمكّن تشومسكي وغيره من النحويين من تمثيل القسم الأعظم من معرفة المتكلم عن البنية الداخلية للجمل بواسطة قواعد معينة تسمى «قواعد اعادة الكتابة» .

ويمكن ، بسهولة بالغة ، فهم هذه القواعد بحد ذاتها . فجواز اشتغال الجملة (ج) ، مثلاً ، على مركب فعلي (م ف) متبوع بمركب اسمي (م أ) يتمثل بالقاعدة الآتية : ج-م ف+م أ . ويهدف بناء النظرية النحوية التي تولّد وتشرح بنية الجمل ، نقرا السهم بوصفه تعليمة تقضي باعادة كتابة الرمز الواقع الى اليمين بواسطة متتابعة الرموز الواقعة الى اليسار . فنقول لنا قواعد اعادة الكتابة ان الرمز الابتدائي (ج) يمكن استبداله ب : م ف+م أ . وتقوم القواعد الأخرى بالطريقة نفسها بيسط مؤلفات (م ف) و(م أ) .

وهكذا يمكن . في نحوٍ جد بسيط . ان يشتمل المركب الفعلي على فعل (ف) ومركب اسمي (م أ) . وأن يشتمل المركب الاسمي على تعريف (تع) واسم (أ) .

وعليه يمكن لنحوٍ جد بسيط لمقتطف من اللغة العربية ان يتمثل بالصورة الآتية :

١- ج ← م + ف + م أ

٢- م ف ← م + ف + م أ

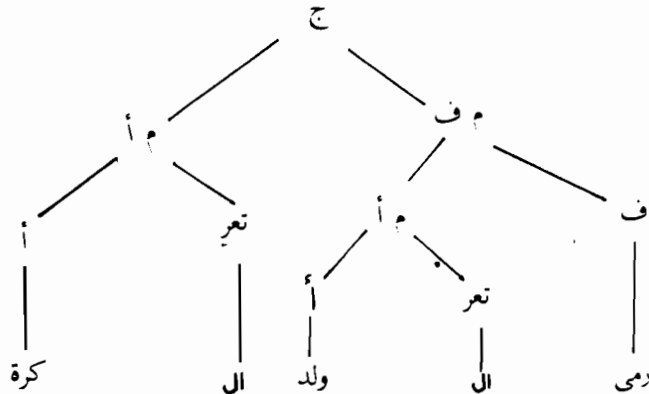
٣- م أ ← تع + أ

٤- ف ← (رمى . ضرب . أكل . ألخ)

٥- تع ← (ال)

٦- أ ← (ولد . رجل . كرة . طعام . ألخ)

فاذا نحن ادرجنا الرمز الابتدائي (ج) في هذا النسق من القواعد . ثم اعتبرنا ان كل سهم في هذا النسق بانه تعليمة تقضي باستبدال الرمز الواقع إلى اليمين بالعناصر الواقعة إلى اليسار (وحين توجد العناصر بين قوسين يقضي السهم حينئذٍ باستبدال الرمز بأحد هذه العناصر فقط) . فانه يصبح بمقدورنا ان نبني اشتقاقات لجمل عربية . وان الاستمرار بتطبيق هذه القواعد بهدف توليد المتابعات . لغاية الافتقار تماما . في هذه المتابعات . للعناصر التي يمكن أن توجد إلى يمين احدى قواعد اعادة الكتابة . يؤدي إلى بلوغ ما يسمى بالمتابعة «النهائية» . فالابتداء . مثلاً . بالرمز (ج) ثم اعادة كتابته تبعاً للقواعد المشار إليها أعلاه . يؤديان بنا إلى بناء اشتقاق بسيط للمتابعة النهائية الكامنة وراء الجملة «رمى الولد الكرة» والذي يقابله المشجر الآتي :



يشكّل «الدليل النظمي» التمثيل الذي يعتمد على تشومسكي لترتيب الجملة: «رمى الولد الكرة». ويزوّدنا هذا الدليل بوصف للبنية التركيبية للجملة. لقد احتوت بعض النظريات النحوية البنائية، بصورة ضمنية، عدداً من قواعد إعادة الكتابة المشابهة لما تقدّم استخدامه من قواعد في بناء هذا الاشتقاق؛ إلا أن تشومسكي كان أول من جعلها قواعد صريحة وشرح دورها في عملية اشتقاق الجمل. وهو لا يزعم، بالطبع، أن المتكلم يمر فعلياً، بصورة واعية أو لا واعية، بعملية ما من هذا النوع تقوم على تطبيق بعض القواعد من نمط أعد كتابة «ن» على صورة «ي» لبناء الجمل. إن فهم الشرح النحوي بهذه الطريقة يشكل خلطاً بين وصف الكفاية ونظرية الأداء. فتشومسكي يؤكد فقط أن قواعد إعادة الكتابة التي يقوم النحوي ببنائها «تمثّل» كفاية المتكلم.

تكن إحدى الصعوبات الأساسية لنظرية تشومسكي في أنها لم تُعطِ مطلقاً جواباً واضحاً ودقيقاً على التساؤل الآتي: كيف تم بالضبط الافتراض بأن الوصف الذي يقوم به النحوي لبناء الجمل هو وصف يمثّل قدرة المتكلم على قول وفهم هذه الجمل، وبأي معنى تحديداً لمفهوم «المعرفة» أُعتبر المتكلم أنه يعرف قواعد النحو.

البنى السطحية والبنى العميقة

يواجه تشومسكي البنائية مؤكداً أن قواعد إعادة الكتابة هي وحدها القواعد القادرة على أن تؤدي حساباً عن مختلف الحالات الماثلة للحالتين: «نقد تشومسكي نقد مبرر» و«دفع المال من زيد». فقد أضمرت التماثلات السطحية، في الأمثلة السابقة، التغيرات الكامنة التي لا يمكن لنحو المؤلفات أن يكشف عنها. وعلاوة على ذلك ثمة تغيرات سطحية تضمّر هي أيضاً تماثلات عميقة. فقد تختلف بعض الجمل من حيث ترتيب الكلمات فيها وإضافة بعض العناصر. مثل:

زيد عريض الجبين.

جبين زيد عريض.

زيد جبينه عريض.

إنما برغم هذا الاختلاف فإن هذه الجمل تشترك، جميعها، بالمعنى نفسه. إن قواعد نحو المؤلفات، وحدها، لا توفر لنا أية وسيلة لشرح هذا التماثل. فهي تعطي لهذه الجمل الثلاث ثلاثة شروح مستقلة.

فلنكني يؤدي النحو حساباً عن هذه الوقائع، يؤكد تشومسكي أن النحو يتطلب، زيادة على قواعد

اعادة الكتابة . نوعاً آخر من القواعد يدعوها بـ «القواعد التحويلية» التي تحوّل الادلة النظرية إلى أدلة نظمية أخرى عن طريق الاستبدال أو الاضافة أو الحذف لبعض العناصر. ويمكننا مثلاً . باستخدام قواعد تشومسكي التحويلية . شرح التماثل بين «زيد عريض الجبين» و «جبن زيد عريض» وذلك باظهار كيف يمكن ان يتحول الدليل النظمي للجملة الأولى . عن طريق بعض التحويلات من تقديم وتأخير وحذف . الخ إلى الدليل النظمي للجملة الثانية دون تبديل في المعنى . وبذلك نشرح كيف يمكن اشتقاق الجملتين انطلاقاً من الدليل النظمي الكامن أو المقدّر نفسه (الذي يعيّن وحدة المعنى بين الجملتين برغم اختلاف بنيتها السطحية).

ان تادية الحساب عن الجمل المتنبسة مثل : «نقد تشومسكي نقد مبرر» يفرض علينا هو أيضاً ان نوضح كيف اننا لا نواجه . في الواقع . دليلاً نظمياً واحداً انما نواجه عدة أدلة نظمية كامنة أو مقدرة لكل دليل منها معنى مغاير . فالجملة «نقد تشومسكي نقد مبرر» يمكن على وجه الخصوص تمثيلها بطريقتين متغايرتين تقابل كل طريقة منها دليلاً نظمياً مستقلاً (الرسم رقم ١) ^(٧) . وتشرح النظرية كيف يمكن اخيراً . بفضل بعض التحويلات . بلوغ الدليل النظمي ذاته الذي يتمثل بالبنية السطحية للجملة المذكورة . ويُطلق غالباً على قواعد تشومسكي . بسبب ادراج القواعد التحويلية . اسم «القواعد التوليدية والتحويلية» أو «القواعد التحويلية» فقط .

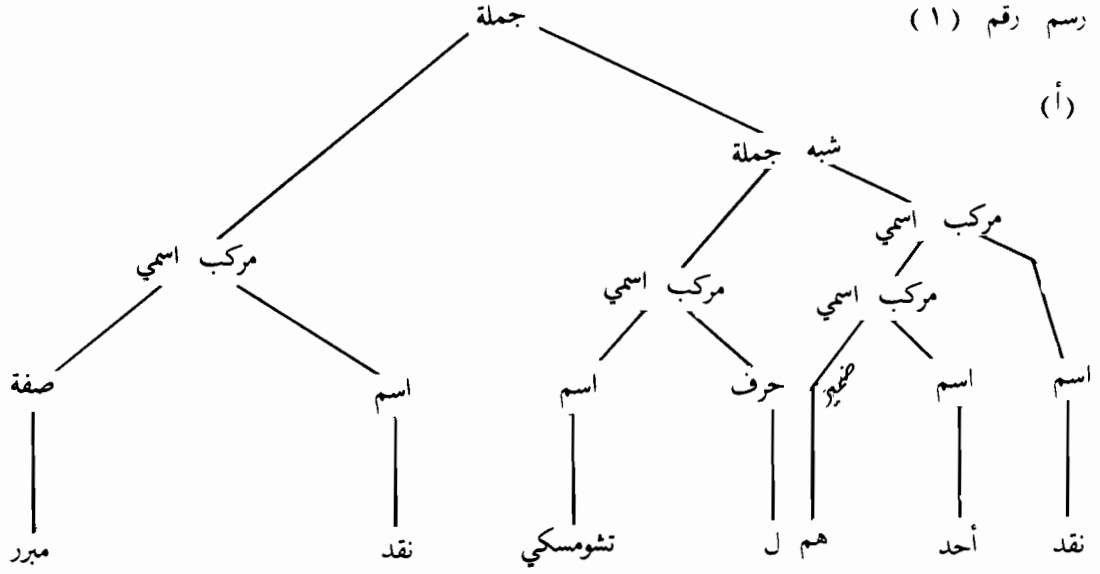
هناك اذاً مكّونان لعلم تركيب اللغة يقابلان على التوالي قواعد اعادة الكتابة والقواعد التحويلية هما : **المكّون الأساسي والمكّون التحويلي** . يتضمن المكّون الأساسي لنحو تشومسكي القواعد النظرية . وتحدّد هذه الأخيرة (مع بعض القواعد التي تقيد بعض الارتباطات المجازة للكلمات لمنع الحصول على متتابعات من نوع : «قرأ الكتابُ ولداً») **البنية العميقة** لكل جملة . ويحوّل المكّون التحويلي البنية العميقة للجملة إلى بنية سطحية . فقد تم اشتقاق البنية السطحية الواحدة للجملة «نقد تشومسكي نقد مبرر» انطلاقاً من عدة بنى عميقة متغايرة .

علم اللغة عند تشومسكي : تصور آسر...

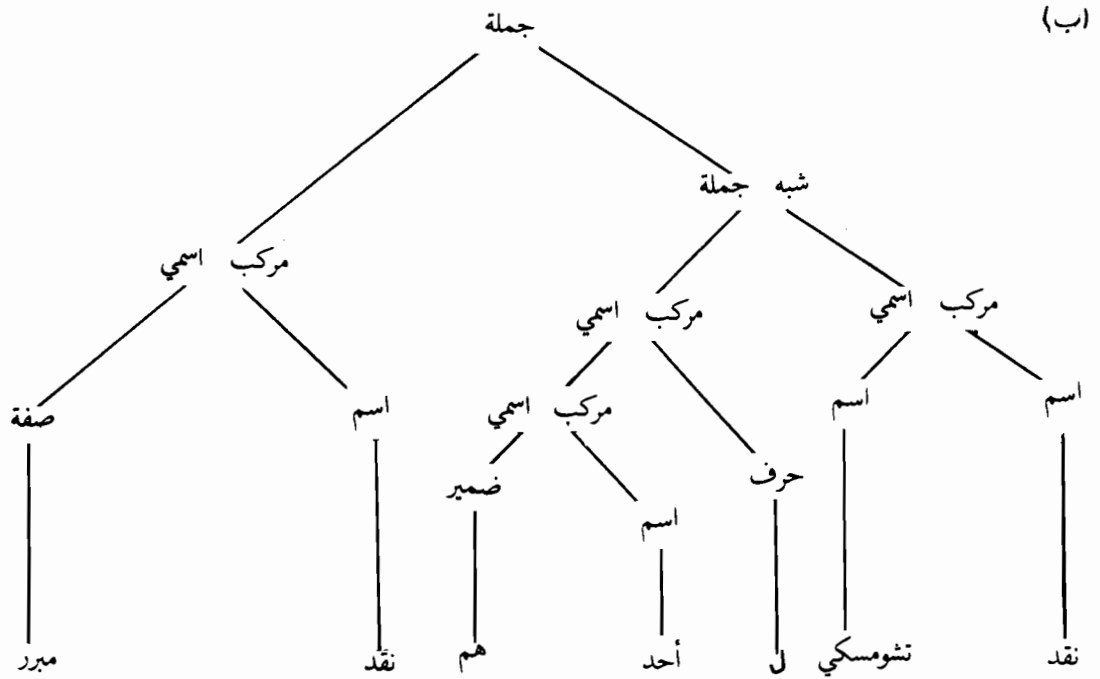
لقد بدا . عند ظهور وجوه النظرية التركيبية . ان كل اقسام الجملة . ذات الصلة المناسبة بالدلالات . وكل العناصر التي تحدّد معنى الجملة ، هي اقسام وعناصر متضمّنة في البنية العميقة أو المقدرة . وقد أدى ذلك إلى نظرية لبقّة حول علاقة علم التركيب بعلم الدلالة والفونولوجيا (الرسم رقم ٢) .

رسم رقم (١)

(أ)



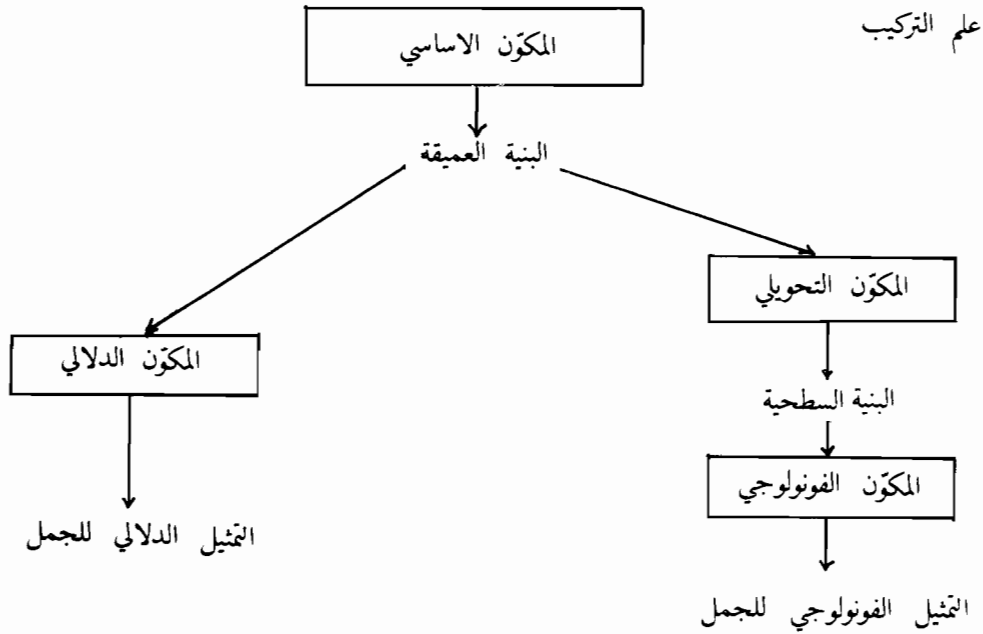
(ب)



الجملة المحللة هي الآتية: «نقد تشومسكي نقد ميرر». يقابل البنية السطحية الواحدة لهذه الجملة
 بنيتان عميقتان (تعبّر كل منهما عن معنى مغاير) هما: «نقد أحدهم لتشومسكي نقد ميرر» و«نقد
 تشومسكي لأحدهم نقد ميرر».

يشرح «الدليلان النظاميان» المصوّران هنا هاتين البنيتين التركيبيتين. وتتيح قواعد النحو العربي فيما
 بعد تبيان كيف يمكن رد هاتين الجملتين أخيراً. بواسطة بعض التحويلات، إلى الدليل النظامي ذاته
 (الذي يمثّل الجملة البدئية، أي: «نقد تشومسكي نقد ميرر»).

رسم رقم (٢)



تصوير للعلاقات بين علم التركيب وعلم الدلالة والفونولوجيا

لقد أُعيد النظر. في السنوات الأخيرة. بهذا التصوّر: ان تشومسكي نفسه يسلم الآن ان البنى
 السطحية تحدّد جانباً على الأقل من المعنى، فيما تشدد العناصر الشابة، ونعني بهم علماء الدلالة التوليديين.

يجدرية أكبر. على انتفاء الحدود بين علم التركيب وعلم الدلالة وبالتالي على انعدام وجود البنى التركيبية العميقة.

ان معظم المعلقين المتعاطفين مع نظرية تشومسكي قد انبهروا بالنتائج التي تم التوصل اليها في علم التركيب إلى الحد الذي لم يلاحظوا معه كم يتعارض قسمٌ كبير من النظرية مع المفترضات الشائعة المتعلقة باللغة. وهي المفترضات التي يتقبلها الحس العام وتتوافق معه. فاللغة. بالنسبة للحس العام. مكيفة لاداء وظيفة الاتصال. كالقلب تقريباً المكيف هو أيضاً لاداء وظيفة ضخ الدم. ومن الممكن. في الحالتين. دراسة البنية بصورة مستقلة عن الوظيفة. ولكن من الخطأ وغير المجدي القيام بذلك لاتصال الوظيفة والبنية بعلاقات وثيقة. فاللغات الانسانية تشكل جزءاً من أنظمة الاتصال الانساني (من الأنظمة الاخرى. مثلاً. الاشارات الحركية والأنظمة الرمزية والفنون التصويرية). بيد ان اللغة تمتلك سلطة للاتصال أكبر بما لا يقاس من غيرها.

... لكنه يعطي للاتصال دوراً هامشياً

لا نعرف كيف تطورت اللغة في ما قبل تاريخ الانسان. ولكن من المعقول الافتراض ان حاجات الاتصال قد آثرت على بنيتها. فالقواعد التحويلية. مثلاً. تجعل اللغة أكثر «اقتصادية»: فلنسا بحاجة للقول «ان النقد الذي وجهه تشومسكي لأحدهم هو نقد مبرر» إذ يمكننا ان نكتفي بالقول «نقد تشومسكي نقد مبرر». ان هذا الالتباس الحاصل في الجملة هو الثمن. المتدني في الواقع. الذي ندفعه مقابل هذا الاقتصاد باللغة. بيد ان الجمل الملتبسة لا تعيق الاتصال. ذلك ان سياق الحديث بين الأشخاص في حياتنا العادية. يتكفل عادة برفع الالتباسات القائمة في الجمل المتبادلة. وتسهل التحويلات أيضاً الاتصال بما تتيحه لنا من تشديد على بعض الأمور على حساب أمور أخرى: إذ يمكننا ان لا نكتفي بالقول: «فريد أحب زهرة». بل أيضاً: «انه فريد الذي أحب زهرة» أو «انها زهرة التي أحبها فريد». فعلى العموم. يتطلب فهم الوقائع التركيبية فيها لوظيفتها في الاتصال. لان اللغة ما وجدت أصلاً إلا للاتصال.

تجري الأمور. مع تشومسكي. بصورة مختلفة. فالى جانب الغايات العامة للغة كالتعبير عن الفكر الانسانية لا توجد للغة. بالنسبة له. غاية رئيسية؛ واذا كان للغة مثل هذه الغاية فلا يوجد ارتباط مهم بين غايتها وبنيتها. فالبنى التركيبية للغات الانسانية تنشأ عن الخصائص الفطرية للفكر الانساني. ولا ترتبط هذه البنى بأية علاقة مهمة مع الاتصال. هذا رغم ان الأشخاص يستخدمونها. بالطبع. في سبيل عدة أمور من بينها الاتصال. ومن المفهوم. انطلاقاً من هذه النظرة إلى اللغة. ان يتعلق الاسهام الاساسي

لتشومسكي بعلم التركيب. أما النتائج التي توصل إليها ومعاونوه. في مجال علم الدلالة. فما تزال إلى الآن نتائج غير ذي أهمية.

يرى العديد من أفضل طلاب تشومسكي ان هذه النظرة إلى اللغة لا يمكن الدفاع عنها. انهم يؤكدون ان المحتوى الدلالي عامل من العوامل الاساسية للبنية التركيبية. وان بعض الصيغ من نوع «جملة صحيحة نحوياً» أو «جملة متينة البناء» هي صيغ تتطلب. بحسبهم، ادراج مفاهيم دلالية. لتأخذ الجملة الآتية: «قال فريد لزهرة انك فتاة يمينية. فقامت زهرة بدورها بشتم فريد». هذه «جملة متينة البناء» وذلك فقط شريطة ان نفترض مسبقاً ان المشاركين بالحديث يعتبرون النعت باليمينية بمثابة شتيمة.

لقد أوضح تشومسكي سابقاً ان البنائية لم تتمكن من ان تؤدي بسهولة حساباً عن الوقائع التركيبية للغة. ويدّعي علماء الدلالة التوليديون الآن، بصورة مشابهة تقريبا. ان نظام تشومسكي النظري لا يمكن أن يؤدي بسهولة حساباً عن الوقائع المتعلقة بتداخل علم الدلالة وعلم التركيب، فهؤلاء الذين يدعون انفسهم بعلماء الدلالة التوليديين يعتقدون ان علم الدلالة، وليس علم التركيب، هو الذي يشكل المكوّن التوليدي للنظرية اللغوية، وان النحو ينطلق من شرح معنى الجملة ثم يأخذ بتوليد البنى التركيبية باستعمال القواعد التركيبية والقواعد المعجمية. ويغدو علم التركيب حينئذٍ ببساطة مجموعة من القواعد التي تفيد التعبير عن المعنى.

ان شيوخ البنائية الذين تعرّض لهم تشومسكي في بداية الأمر، ينظرون بفرح الى هذه الثورة في الثورة: انهم يبهجون راضين عن رؤية خصومهم وهم يتعاركون فيما بينهم. لكن التقليديين يخطئون إن هم اعتبروا ان هذه المعركة تعزز موقعهم. فالتزاع يدور بكليته ضمن اطار النظام المفهومي الذي صاغه تشومسكي. فكائناً ما كان المنتصر، تبقى البنائية القديمة هي الخاسرة.

يقيم علم اللغة، في رأي تشومسكي، البرهان على صحة المذهب الفلسفي القائل بالأفكار الفطرية:

يقدر تشومسكي ان النتائج التي توصل إليها تسوّغ تأكيدات الفلاسفة العقلانيين في القرن السابع عشر، مثل ديكارت وليبنيتز، الذين اعتبروا ان الذهن الانساني يحوي أفكاراً فطرية. ويرى أنصار النزعة التجريبية ان كل معرفة هي معرفة ناشئة عن الخبرة. فيما يرى انصار النزعة العقلانية ان بعض المعرفة فطرياً وسابق على الخبرة. ويذهب تشومسكي إلى حد القول أنه دحض التجريبيين وبرهن على صحة رأي العقلانيين.

تستند حجته بشكل خاص على الطريقة التي يتعلّم بها الأطفال التكلم. فقدرة الأطفال على تعلّم لغة معينة لا ترتبط، إلا بصورة ثانوية جداً. بالذكاء أو الحافز. ان جميع الأطفال. الأغبياء

والأذكياء، المحفّزين وغير المحفّزين، يتعلمون التكلم بلغتهم الأم. وإذا لم يحدث أن تعلّم الطفل هذه اللغة الأولى قبل البلوغ، فمن الصعب، أن لم يكن من المستحيل، ان يتعلّمها في ما بعد. والتعليم المنهجي للغة، في المدارس، ليس ضرورياً لتعلّم اللغة: فالطفل يتعلّم في المدرسة القراءة والكتابة ولا يتعلّم فيها التكلم باللغة.

ومع ذلك، فان الطفل الذي تعلّم لغته الأولى ينجز، كما يؤكد تشومسكي، عملاً ذهنياً باهراً: فهو عندما يستبطن النحو فكأنما بنى تقريبا نظرية للغة. ومن غير الممكن تفسير هذه الوقائع بالقول ان الذهن عبارة عن صفحة بيضاء، انما التفسير الوحيد لها على الوجه الصحيح هو أن الطفل يمتلك مسبقاً شكل اللغة مرسوماً في ذهنه من قبل ان يتعلّم التكلم مطلقاً. ويقول تشومسكي في احدى الصيغ الطموحة لهذه النظرية، ان الطفل يولد «مزوداً بمعرفة تامة بالنحو الكلي أو الكوني، ونعني بذلك انه مزود بمخطط مثبت يستخدمه (...) لاكتساب اللغة»⁽⁸⁾ فالطفل يمكن ان يكتسب أية لغة انسانية كانت استناداً إلى معلومات جد ناقصة. ولذا اقتضى أن يمتلك الأشكال العامة المشتركة بين كل اللغات الانسانية بوصفها جزءاً من تجهيزه العقلي الفطري. كما يلاحظ تشومسكي، كبرهان اضافي على وجود «ملكة للغة» خاصة بالانسان، ان انظمة الاتصال الحيواني تختلف بصورة جذرية عن اللغات الانسانية، فهذه اللغات جميعاً طاقة توليدية لا متناهية، ومن غير الممكن التكهن بعبارات اللغة التي يمكن ان تُقال استناداً إلى المثيرات الخارجية. هذه «الصفة الابداعية لاستعمال اللغة» هي صفة خاصة بالانسان.

يفيد جوهر الحجة التي يستند اليها تشومسكي، في هذا الاطار، ان المحور التركيبي لكل لغة هو محور معقّد للغاية ونوعي في شكله، كما انه يختلف اختلافاً كبيراً عن الانماط الأخرى للمعارف. لذا يستحيل على الطفل ان يتعلم هذا المحور لو لم تتبرمج في دماغه مسبقاً «معرفة تامة بالنحو الكلي». في الواقع لا يوجد، في الحالة الراهنة للفيزيولوجيا العصبية، اية وسيلة لروز (اختبار) هذه الفرضية لذا تنحصر كل المعطيات التي تؤيد هذا الاستنتاج بالوقائع النحوية.

ان تسليم المنظر التجريبي والسلوكي لعملية التعلم بتعقّد النحو يضعه وجهاً لوجه أمام المأزق التالي: أن يقتصر على إواليات- للعلاقة بين المثير- الاستجابة ولا يستطيع بالتالي، بحال من الأحوال، ان يؤدي حساباً عن عملية اكتساب النحو، أو ان يسلم بوجود إواليات فطرية تسمح للطفل بأن يتعلم اللغة. ان هذه الإواليات هي إواليات غنية بما فيه الكفاية لاعتبار تعقّد النحو وطابعه النوعي، لذا يغدو القسم المتعلق بعلاقة «المثير- الاستجابة» من النظرية السلوكية (أي القسم الذي يمكن من حيث المبدأ في صلب هذه النظرية) قسماً غير ذي أهمية. فالفائدة الوحيدة التي تبقى له تتجلى حصراً في قدرة العلاقة بين المثيرات والاستجابات على إطلاق الإواليات الفطرية التي تشكل بحد ذاتها العناصر الاساسية لنظرية التعلم

لا يملك السلوكيون، في حالة كما في أخرى، رداً فعلياً على حجج تشومسكي.

النقطة الضعيفة في النظرية: علم الدلالة

يشكل علم الدلالة القسم الاضعف في نظرية تشومسكي، كما أقر هو نفسه في مناسبات عدة^(٩) بيد أنه يعتقد ان أفكاره حول علم الدلالة تشكو من وجوه مختلفة من المحدودية الفنيّة الصغيرة الشأن، فيما أعتقد أن هذه الأفكار هي أفكار غير ملائمة بصورة جذرية. فنظرية التعبير عن المعنى التي يقترحها تشومسكي هي أفقر من أتودي إلى بلوغ هدفه، ونعني به تفسير كل العلاقات اللغوية بين الصوت والمعنى.

يتضمّن المكوّن الدلالي لنحو لغة معينة مجموعة القواعد التي تحدّد معنى الجمل في هذه اللغة. ويعمل هذا المكوّن وفق الفرضية الصحيحة، بلا ريب، التي تنص على أن معنى الجملة يتحدد بمعنى كل عناصرها الدالة وبالانتظام التركيبي لهذه العناصر. وتمثل هذه العناصر وانتظامها في البنية العميقة للجملة، لذا فان البنى العميقة للجمل التي يولّدها المكوّن التركيبي هي التي تشكل «مدخل» (input) المكون الدلالي للنحو. أما «المخرج» (output) فهو مجموعة «القراءات» التي تقابل كل جملة. وتعدّ كل قراءة بأنها «تمثيل دلالي» للجملة، أي شرحاً لمعناها.

فاذا كان لاحدى الجمل، مثلاً ثلاثة، ثلاثة معانٍ مختلفة اقتضى على المكوّن الدلالي ان يعيد انشاء كفاية المتكلم بانشائه ثلاث قراءات مختلفة وإذا كانت الجملة خالية من المعنى فلن ينشئ المكون الدلالي أي قراءة لها. فاذا اشتركت جملتان بالمعنى ذاته اقتضى على المكون الدلالي أن ينشئ القراءة ذاتها للجملتين معاً.

ان «الجملة التحليلية» هي الجملة الصادقة تعريفاً لأن معنى المحمول فيها متضمّن في معنى الموضوع (فالجملة الآتية مثلاً: «كل العازبين هم أشخاص غير متزوجين» هي جملة تحليلية وذلك لأن معنى الموضوع «عازبين» يتضمّن معنى المحمول «أشخاص غير متزوجين»)، في حالة هذه الجمل «التحليلية»، ينشئ المكون الدلالي قراءة للجملة تقوم على اعتبار قراءة المحمول بأنها متضمّنة في قراءة الموضوع.

يسمى نحو تشومسكي إلى بناء مجموعة من القواعد التي تقيم نموذجاً لكفاية المتكلم الدلالية. ويقضي هذا النموذج إعادة إنشاء ما يفهمه المتكلم: الالتباس، الترادف، الخلو من المعنى، الخاصية التحليلية، التناقض، السخ.. ويمكن لكل ذلك، وقد أمكن في الواقع لكل ذلك ان يحقّقه تشومسكي وأتباعه في اطار نظرية صورية. بيد ان بناء هذا النوع من علم الدلالة قد أبقى على السؤال الآتي قائماً: ما هي بالضبط هذه «القراءات»؟ ما الذي يفترض ان تمثله أو تعبّر عنه سلسلة الرموز التي تنطلق من المكوّن الدلالي لتكوّن شرحاً لمعنى الجملة؟

المعضلة: مجرد شروح نصية أم نزعة صورية عقيمة؟

اننا نواجه المعضلة التالية: إما ان القراءات هي مجرد شروح للنص، وفي هذه الحالة يدور التحليل على نفسه بصورة دائرية. وإما ان القراءات تتمثل فقط بلائحة من العناصر الصورية، وفي هذه الحالة يفشل التحليل لعدم مطابقتها، فهو لا يمكن ان يؤدي حساباً عن القضية التي تعبر الجملة عنها. فقد تحتمل الجملة تأويلين مختلفين، ويمكن بالتالي طبعاً تقديم شرحين نصيين مختلفين يقابل كل منهما تأويلاً من هذين التأويلين. بيد ان النظرية الدلالية التي تسعى إلى أن تؤدي حساباً عن الكفاية، التي للقارئ العربي مثلاً، لا يمكن أن تلجأ إلى الشرح النصي لبسط العلم، وذلك باعتبار ان القدرة على فهم الشرح تستلزم هي نفسها الكفاية التي يُراد بالضبط تفسيرها. فن غير الممكن تفسير كفاية القارئ العربي مثلاً عن طريق ترجمة الجمل العربية إلى جمل عربية أخرى. فالشروح النصية لا تفيدنا، كما تعبر عن ذلك كتابات منظرّي علم الدلالة، إلا بهدف ابضاح الأمور؛ انها لا تشكل، كما يُقال لنا، «القراءات الحقيقية». اذن، ما الذي يمكن أن تكونه هذه «القراءات»؟ لا تمدّنا القيود الصورية البحتة المفروضة على النظرية الدلالية بالمساعدة للججابة على ذلك. فهي تقول لنا فقط ان الجملة المنتبسة التباساً مثلثاً يقتضي ان تكون لها ثلاث «قراءات» مختلفة، وأن الجملة الخالية من المعنى لا يقتضي أن تكون لها قراءة ما، وانه يقتضي للجملتين المترادفتين ان تكون لها القراءة ذاتها، الخ.. وتذهب هذه المقتضيات مذاهب شتى الى حد يمكن القول معه ان القراءات ليست بحاجة لأن تتألف من مجموعة نوعية معينة من الموضوعات. فهي يمكن ان تكون اعداداً، أو أكواماً من الأحجار أو سيارات عتيقة أو سلاسل من الرموز أو أي شيء آخر نريده. ولنفترض اننا قررنا تأويل القراءات بوصفها أكواماً من الأحجار. في هذه الحالة تعطي النظرية، بالنسبة للجمل المنتبسة التباساً مثلثاً، ثلاث أكوام من الأحجار لا تعطي، بالنسبة للجمل الخالية من المعنى، أي كومة، أما بالنسبة للجملة التحليلية فبعد انشاء انتظام الأحجار التي تنتسب إلى كومة المحمول في كومة الموضوع. فما من شيء يمنعنا، في الخصائص الصورية للمكوّن الدلالي، من أن نؤوّل هذا المكوّن بهذه الطريقة. غير أن ذلك سيؤدي الى طريق مسدود، لأن النظرية حينئذٍ بدلاً من أن تفسر العلاقات بين الصوت والمعنى، تكون قد أنشأت علاقة غير مفسّرة بين الأصوات والأحجار.

في الواقع، تستند المعرفة التي يمتلكها شخص معين عن معنى الجمل، في جزء كبير منها، الى معرفته بالطريقة التي تُستخدم بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام وطرح الأسئلة وإلقاء الأوامر وإجراء التحقيقات ونثر الوعود والتنبيه، الخ.. وكذلك إلى معرفته بالطريقة التي يفهم بها هو نفسه الآخرين حينما يستعمل هؤلاء الجمل لغايات مماثلة. فالكفاية الدلالية، في جزء كبير منها، هي القدرة على انجاز وفهم ما يدعوه الفلاسفة وعلماء اللغة بأفعال الكلام أو أفعال اللغة.

من الضروري النظر إلى الدور العملي للغة

لا بد لكل محاولة تسعى إلى تأدية الحساب عن معنى الجمل من أن تأخذ في الاعتبار دور هذه الجمل في الاتصال، أي دورها في إنجاز أفعال الكلام؛ إذ يتعين قسمٌ أساسي من معنى الجمل بإمكانيات الاستعمال التي تتيحها هذه الجمل لإنجاز أفعال الكلام. وثمة هنا نزاع بين تصوّرين للغة مختلفين اختلافًا جذرياً: يرى التصور الأول، الذي يقول به تشومسكي، أن اللغة نظام صوري مستقل قد يُستخدم عرضاً إلى هذا الحد أم ذاك بهدف الاتصال، فيما يرى التصور الآخر أن اللغة أساساً هي نظام من الاتصال. من الممكن إخفاء حدود المقاربة الأولى، وذلك بالقدر الذي نقصر فيه بحثنا على مجال علم التركيب، أي هذا المجال الذي يتمحور فيه، في الواقع، القسم الأعظم من عمل تشومسكي. هذا لأن التركيب يمكن أن يُدرس بصفته نظاماً صورياً مستقلاً عن استعماله، مثلما يمكننا أن ندرس، في الاقتصاد مثلاً، نظام النقد والتسليف بصفته نظاماً صورياً مجرداً وبشكل مستقل عن استعمال الأفراد للعملة بهدف التسوق. بيد أن هذه المقاربة الصورية البحتة تتقوّض ما أن نسعى إلى تأدية الحساب عن المعنى، أي عن الكفاية الدلالية، لأن هذه المقاربة تعجز عن أن تقيم حساباً للكفاية الدلالية بوصفها مسألة تتعلق على الغالب بمعرفة كيف نتكلم، أي كيف ننجز أفعال الكلام.

إن الثورة التي أحدثها تشومسكي هي، في قسمها الأعظم، ثورة في دراسة التركيب. زد على ذلك أنه قام بأكثر من مجرد إحداث ثورة في علم اللغة. لقد استحدث مجالاً علمياً جديداً هو النحو التوليدي، ومارس تأثيراً ثورياً في مجالين آخرين هما الفلسفة وعلم النفس. وتتجلى إحدى مزاياه أيضاً في توفيره لوسيلة جد فعالة حتى لأولئك الذين لا يتفوقون مع بعض وجوه مقارنته في دراسة اللغة.

ومن المؤكد أن يتمثل الطور اللاحق من تطور دراسة اللغة في تطعيم دراسة التركيب بدراسة أفعال الكلام. لقد انطلق هذا العمل فعلاً، بالرغم أن تشومسكي ما يزال يخوض معركة خلفية ضد مثل هذه الأبحاث، أو، على الأقل ضد الأبحاث التي يقوم بها الآن علماء الدلالة التوليديون انطلاقاً من أعالي الخاصة.

تذييل :

تخطيط المقالة التي قفنا بترجمتها بالأفكار الأساسية لما يدعوه تشومسكي «النظرية النموذجية» التي دافع عنها في «وجوه النظرية التركيبية» الصادر عام ١٩٦٥. وهي النظرية التي تسلّم بوجود علاقة حصرية بين المحتوى الدلالي والبنية العميقة للجمل. أما النظرية التي يدافع عنها تشومسكي الآن فيدعوها بـ «النظرية

النموذجية الموسّعة» * التي لعب راى جاكندوف (Jackendoff) دوراً أساسياً في بلورتها .**

تعاين هذه النظرية الموسعة دور البنية السطحية في التأويل الدلالي . وتنحو إلى قلب النموذج المعروف في «وجوه النظرية التركيبية» ، إذ تؤكد ان البنية السطحية يمكن وحدها أن تلعب دوراً مقررًا في التأويل الدلالي . في حين ينحصر إسهام البنية العميقة في تعيين المعنى بتمثيل ما يسمى بالعلاقات المدارية (Relations Thematiques) . أي هذه العلاقات التي تقوم . على أساس دلالي . بين الفعل والأسماء المحيطة به . وهي من النوع الآتي :

عَلِمَ	فَوَاد	العربية	لفريد
(فاعل)	(موضوع)	(هدف)	
كَلَفَ	فَوَاد	فَرِيدَا	بأمور على جانب من الأهمية
(فاعل)	(هدف)	(موضوع)	
حَثَ	فَوَاد	فَرِيدَا	أن يذهب
(فاعل)	(موضوع)	(هدف)	

تتعيّن إذاً هذه العلاقات المدارية بين الفعل والأسماء المحيطة به على مستوى البنية العميقة . وبذلك ينحصر ، في رأي تشومسكي الآن ، دور هذه البنية في تأويل المحتوى الدلالي للجمل . إذ يرى أن الدور المقرّر في هذا التأويل يمكن أن يعود حصراً إلى البنية السطحية .

يبرز هذا الدور ، على سبيل المثال ، في علاقة الضمائر بمراجعها التي تعود إليها . حيث تلعب العلاقات الموقعية والمميزات الحركية في البنية السطحية للجمل العربية دوراً مقررًا في تعيين المعنى : ففي الجمل الأصولية الآتية :

* Chomsky, Noam — Studies on semantics in generative Grammar, Mouton, 1972. Trad. Française-Etudes semantiques, seuil, 1975.

** Jackendoff, Ray, Semantic interpretation in generative grammar, MIT Press, 1972.

ج ١ - قابل خالدٌ جارَه

ج ٢ - قابل خالداً جارَه

ج ٣ - قابل جارَه خالدٌ

تلعب العلاقات الموقعية (بين مواقع الكلمات) والمميزات الحركية (إعراب الكلمات) على مستوى البنية السطحية دوراً مقررًا في تعيين معنى هذه الجمل. فالقاعدة اللغوية تحكم أن ضمير الغيبة (الهاء) يعود إلى مرجع متقدم عليه (على الضمير) إما لفظاً ورتبة (ج ١) وأما لفظاً (ج ٢) وأما رتبة (ج ٣). ولا يجوز أصولياً أن يُقال:

ج* ٤ - قابل جارَه خالداً

لأن الضمير حينئذٍ يعود على متأخر لفظاً ورتبة. الأمر الذي يؤدي إلى إثبات معنى الجملة التياتاً بيئاً.

يرى تشومسكي أيضاً أن البنية السطحية هي التي تقرر. من خلال التنعيم الصوتي. ماهية المعلومات الجديدة أو الهامة التي تحتويها الجملة وكذلك ما تتضمنه من مفترضات مسبقة. ويدعو هذه المعلومة الجديدة بالبؤرة التي يتركز فيها تنعيم الجملة. فيما يشير بالمفترض المسبق إلى ما يُقصد ضمناً بالجملة. فالنطق بالجملة «كاتب هذه المقالة أمريكي». بالتنعيم الصوتي الطبيعي. يعني أن «أميركي» هي البؤرة أو المعلومة الجديدة أو الهامة في هذه الجملة، وذلك باعتبار أنها (أي الجملة) تفترض مسبقاً أن أحدهم قد كتب مقالة. أما في قولنا «هل يعمل فؤاد في المكتبة؟» فان البؤرة أو المعلومة الجديدة التي هي محل لتنعيم الجملة يمكن أن تكون:

- في المكتبة. باعتبار أن المفترض المسبق المقابل هو- فؤاد يعمل في كل الأحوال.

أو- يعمل في [] ... «هو» - فؤاد موجود في المكتبة.

تشتمل «النظرية النموذجية الموسعة» على مفهوم جديد هو مفهوم الأثر Trace الذي يمكن القول بمقتضاه، حسب تشومسكي، ان علم الدلالة بجملة. بما في ذلك العلاقات المدارية. يتعين بالبنية السطحية للجمل، ويعرّف تشومسكي الأثر (أ) بأنه عنصر معدوم من الوجهة الصوتية. غير أنه يشير إلى الموقع الأصلي الذي كان يحتله في البنية العميقة عنصر معين كان قد تم حذفه أو إزاحته بواسطة تحويل معين، ومثاله:

رأيتَ زيداً - مَنْ رأيتَ (أ) ؟

لنضرب المثال الآتي :

ج ١ - عَلمَ فؤاد العربية لفريد
(فاعل) (موضوع) (هدف)

تنص العلاقات المدارية أن علاقة الجار والمجرور «لفريد» بالفعل «عَلمَ» هي علاقة هدف/بفعل (فهدف الفعل هو تعليم العربية لفريد). تستمر هذه العلاقة (فعل /هدف) قائمة في حال إزاحة (تقديم) الجار والمجرور بتأثير التحويل إلى الجملة الإستفهامية (ج ٢) :

ج ٢ - لِمَنْ عَلمَ فؤاد العربية؟
(هدف) (فاعل) (موضوع)

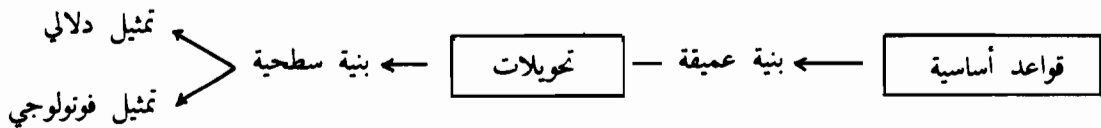
فقد أمكن، بفضل نظرية الآثار، تعيين العلاقة (فعل /هدف) بالبنية السطحية فقط وذلك بالضبط لأنه قد أمكن الاحتفاظ بالنسق العميق أو المقدر الممثل ب(ج ١) قائماً في البنية السطحية الممثلة ب(ج ٢) عن طريق الأثر (أ) الذي يرتبط «بما يشبه الخيط غير المرئي» بالعنصر الذي حل الأثر محله (أي بالعنصر الممثل ب«لفريد» :

لِمَنْ عَلمَ فؤاد العربية (أ) ؟

(فاعل) (موضوع) (هدف)

تستقي «لمن» علاقتها المدارية بالفعل «عَلمَ» في البنية السطحية (علاقة نعل /هدف) بتوسط الأثر (أ) الذي حل محل الهدف الأصلي القائم في البنية العميقة. فالأثر نوع من الذاكرة أو الحافظة للبنية العميقة في البنية السطحية.

لهذه الإعتبارات وغيرها، تقترح «النظرية الفونولوجية الموسعة» نموذجاً جديداً لعلاقة التأويل الدلالي والتأويل الفونولوجي بالبنية السطحية هو الآتي :



هيئة التحرير

المهامش

- ١- أنظر المقالة التقديمية هذا العدد.
- ٢- Review of B. Skinner, Verbal Behavior, 1957, "Langage", 1959. 35 pp., 25-58.
- ٣- L'Amérique et ses Nouveaux Mandarins, seuil, 1969.
- ٤- Chomsky, N. Dialogues avec Mitsou Ronat, Flammarion, coll. Dialogues, 1977.
- ٥- يستخدم علماء اللغة الذين يتررون مؤلفاتهم بالانكليزية كلمة «أداء» مقابل كلمة «كفاية» ويعني «الأداء» هنا «التنفيذ».
- ٦- مذكور في:
R. H. Robins, A short history of linguistics, Indiana University Press, 1967, p.239.
- ٧- لا يتفق جميع النحويين على أن هذه الأداة النظامية هي الفضل: إن غرضي هنا هو أن أوضح، ببساطة، كيف يمكن لأداة نظامية متغايرة أن تمثل معاني متغايرة.
- ٨- N. Chomsky, "Linguistics and Philosophy", in S. Hook, ed., Language and Philosophy, New York University Press, 1969, p.88.
- ٩- اتردد قليلا في ان انب إلى تشومسكي القسم من النظرية الذي يتعلق بعلم الدلالة. وذلك باعتبار ان معظم ملامح هذا القسم قد بلورها زملاء تشومسكي في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا (MIT): ولم يقم هو نفسه بهذا. ومع ذلك فقد أدرج هذا القسم الدلالي كليا في نحو. لذا فاني سأعتبر هذا القسم عائداً له.
- ج- جملة غير أصلية.

مؤلفات تشومسكي الاساسية وترجمتها بالفرنسية:

- Syntactic structures, Mouton, 1957.
- structures syntaxiques, seuil, 1969.
- Aspects of the theory of syntax, MIT press, 1965.
- Aspects de la théorie syntaxique, seuil, 1971.
- Cartesian linguistics, harper and Row, 1966.
- La linguistique cartésienne, suivie de la nature formelle du langage, seuil, 1969.
- Language and Mind, Harcourt Brace Jovanovitch Inc., 1968.
- Le langage et la pensée, Payot, 1970.
- Studies on semantics in generative grammar, Mouton, 1972.
- Etudes sémantiques, seuil, 1975.

مؤلفات تقديمية للنحو التوليدي والتحويلي:

- Emonds, Joseph, a transformational Approach to english syntax, academic press, 1976.
- Ruwet, Nicolas, Introduction à la grammaire générative, plon, 1967.